الاَرائجُ المِسْكِيّة في تفضيل البَضْعة الزكيّة

تأليف
السيّد حسن الحسيني آل المجدّد الشيرازي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الّذين اصطفى، محمّدٍ وآله المطهَّرين الحُنفا، وارضَ اللّهمّ عن صحبه ذوي النجابة والوفا، الناهجين سبيله ومَن تبعهم واقتفى.

وبعد،
فلمّا اتّفق لي الوقوف على كلام الشيخ الفاضل أبي فراس محمّد بدر الدين النعساني الحلبي في المفاضلة بين النساء، فإذا هو قد ركب متن عمياء، وخَبَط خَبْط عشواء في ليلة ظلماء، وخالف صريح السنن وأقوال العلماء، اختلج بالبال، إفراد المسألة بنبذة من المقال، تكون وافية بالمقصود، بعون المعبود الودود، وهو المستعان، وعليه التكلان.

* * *

(2)

إعلم . هدانا الله وإيّاك إلى منهجه القويم، وصراطه المستقيم . أنّ الرجل ادّعى أنّ نساء النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أفضل النساء جملةً حاشا اللواتي خصّهنّ الله تعالى بالإِيحاء، وأنّ أفضل نسائه صلى الله عليه وآله وسلم عائشة! فهنا دعويان ينبغي التكلّم عليهما، وبيان الحقّ فيهما.

* أمّا الأُولى:

فقد ذكر في تعليقه على «الدرّ النضيد من مجموعة الحفيد»(1): أنّ الذي تشهد له الأَدلّة من القرآن والسُنّة أنّ نساء النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أفضل النساء جملةً حاشا اللواتي خصّهنّ الله تعالى بالإِيحاء، كأُمّ موسى وأُمّ عيسى، قال الله تعالى: (يا نساء النبيّ لستنّ كأحدٍ من النساء إنِ اتّقيتنّ) فهذا ظاهرٌ في أنّهنّ أفضل من غيرهنّ.

قال: ولا يعارضه قوله عليه الصلاة والسلام: «خير نسائها فاطمة بنت محمّد» فإنّه عليه السلام لم يقل: خير النساء فاطمة، وإنّما قال: خير نسائها، فخصّ ولم يعمّ، والله تعالى في تفضيل نساء نبيّه عمّ ولم يخصّ، فلا يجوز أن يُستثنى منه إلاّ من استثناه نصٌّ ظاهر، فصحّ أنّه عليه السلام إنّما فضّل فاطمة على نساء المؤمنين بعد نسائه، فاتّفقت الآية مع الحديث.

انتهى كلامه بلفظه.

ولا يخفى على الحاذق اللبيب مواقع النظر في هذا الكلام، فلنبيّنها، وبالله تعالى الاستعانة والاعتصام.

---

(1) الدرّ النضيد من مجموعة الحفيد: 56.

* الأَوّل:

دعواه اختصاص بعض النساء بالإِيحاء:

وقد قلّد في ذلك جماعةً من المتقدّمين كالأَشعري، حيث نقل عنه أنّ في النساء عدّة نبيّات! وحصرهنّ ابن حزم في ستّ: حوّاء وسارة وهاجر وأُمّ موسى وآسية ومريم! ونقله القرطبي في (التمهيد) عن أكثر الفقهاء . ولم يذكر سارة ولا هاجر . وقال: الصحيح أنّ مريم نبيّة! وتعقّبه القاضي عياض بأنّ الجمهور على خلافه.

وذكر النووي في «الأَذكار»(1) عن إمام الحرمين أنّه نقل الإِجماع على أنّ مريم ليست نبيّة، ونسبه في «شرح المهذّب» لجماعة.

وجاء عن الحسن البصري: ليس في النساء نبيّة ولا في الجنّ.

وقال السبكي الكبير: اختُلِف في هذه المسألة، ولم يصحّ عندي في ذلك شيء(2).

وقال الحافظ السيوطي: الأَصحّ أنّها . يعني مريم . غير نبيّة(3).

وقال العلاّمة ابن قاسم في «الآيات البيّنات»: زَعْمُ نبوّتها . يعني مريم . كزعم نبوّة غيرها من النساء، كهاجر وسارة، غير صحيح لاشتراط الذكورة في النبوّة على الصحيح، خلافاً للأَشعري. انتهى(4).

وفي تفسير الآلوسي(5): أنّ مريم لا نبوّة لها على المشهور.

---

(1) الآذكار: 130.
(2) فتح الباري 6|542 ـ 543، و ج 6|546، و ج 7|173.
(3) فيض القدير 1|105.
(4) روح المعاني 28|165.
(5) روح المعاني 2|140.

قلت:

وقد حكى جماعة كالبيضاوي وأبي حيّان والكرماني والنووي الإِجماعَ على عدم نبوّة النساء(1).

هذا، مع أنّ معنى الإِيحاء في مثل قوله تعالى: (وأوحينا إلى أُمّ موسى أن أرضعيه) الآية.. الإِلهام والقذف في القلب كما هو كذلك في تكليمه عزّ سلطانه بعضَ خلقه . غير الأَنبياء والرسل . كقوله تعالى: (وأوحى ربّك إلى النحل) وقوله سبحانه: (بأنّ ربّك أوحى لها) فليس كلّ إيحاء وحي نبوّة، والله تعالى أعلم.

* الثاني:

احتجاجه على أفضليّة نساء النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بقوله عزّ من قائل: (يا نساء النبيّ لستنّ كأحدٍ من النساء إنِ اتّقيتنّ).

وقد سبقه السبكي إلى ذلك(2)، وزعم الرافعي أنّ أزواج النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أفضل

نساء هذه الاَُمّة(3).

وهو مدخول بأنّ غاية ما تدلّ عليه الآية تفضيل نسائه صلى الله عليه وآله وسلم على نساء غيره، لا تفضيل كلّ واحدة منهنّ على كلّ واحدة من آحاد النساء

---

(1) فيض القدير 4|125، روح المعاني 20|45، فتح الباري 6|516، شرح صحيح مسلم 9|304، مرقاة المفاتيح 5|347، السيرة النبوية ـ لابن دحلان ـ 1|.222
(2) فتح الباري 7|173.
(3) فتح الباري 7|136.

. كما اختاره الزمخشري وغيره(1) .، ومع ذلك فلا دليل على دخول الزهراء عليها السلام في المفضَّل عليهنَّ.

مضافاً إلى أنّ ما ذهب إليه السبكي هنا مخالف لِما اشتهر عنه من تفضيل سيّدة نساء العالمين على أُمّهات المؤمنين . كما سيأتي إن شاء الله تعالى ..

اللّهمّ إلاّ أن يريد تفضيلهنّ بعد استثناء الصدّيقة الطاهرة عليها الصلاة والسلام، كاستثنائه مَن قيل إنّها نبيّة كمريم عليها السلام .

ثمّ لا يخفى عليك أنّه يلزم على هذا القول أن تكون كلّ واحدة من نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم أفضل من فاطمة عليها الصلاة والسلام، مع أنّه ليس كذلك . كما عرفت ويأتي ..

وأُجيب عنه: بأنّه لا مانع من التزامه، إلاّ أنّه يلتزم كون الاَفضلية من حيث أُمومة المؤمنين والزوجيّة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، لا من سائر الحيثيّات الاَُخر، بل هي من بعض الحيثيّات، كحيثية البضعيّة أفضل من كلّ من الخلفاء الاَربعة(2)، وهو كما ترى.

إذ ليس لاَُمومة المؤمنين وزوجيّة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم والاتّصال به . من حيث هي . كرامة عند الله تعالى، وإنّما الفضل لهنّ في الاتّقاء كما دلّ عليه قوله تعالى: (إن اتّقيتنّ) وهو شرط لنفي المثلية وفضلهنّ على النساء، وجوابه محذوف دلّ عليه المذكور، والاتّقاء بمعناه المعروف في لسان الشرع، والمفعول محذوف أي: إن اتّقيتنّ مخالفة حكم الله تعالى ورضا

(1) الكشّاف 3|235، روح المعاني 22|5.
(2) روح المعاني 22|4.

رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، والمراد إن دمتنّ على اتّقاء ذلك، ومثله شائع، أو هو على ظاهره . كما قال الشهاب الآلوسي .**(1)**.

ونظير ذلك صحبة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، فإنّها من حيث هي ليست كرامة تستوجب التفضيل، وإنّما تكون كذلك إذا اقترنت بالإيمان والتقوى كما قال عزّ من قائل: (محمّدٌ رسول الله والّذين معه أشدّاء على الكفّار رحماء بينهم تراهم ركّعاً سجّداً . إلى قوله تعالى: . وعد الله الّذين آمنوا منهم وعملوا الصالحات أجراً عظيماً)، على أنّ ظاهر قوله عزّ وجلّ: (عسى ربّه إنْ طلّقكنّ أن يبدله أزواجاً خيراً منكنّ) الآية.. على حاله، فتندفع تلك الدعوى**(2)**

ثمّ لو سلّمنا بأفضليّة أُمّهات المؤمنين على سائر النساء، فإنّا نقطع بأنّ عائشة لم تكن أفضلهنّ، بل أُمّ المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله تعالى عنها فضلاهنّ.

أمّا الأوّل: فلأنّ الله تبارك وتعالى قد أمر نساء نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم بأوامر فقال عزّ وجلّ: (وقلن قولاً معروفاً * وقرن في بيوتكنّ ولا تبرّجن تبرّج الجاهلية الأُولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله) الآية.

فهل كان من قول المعروف قولها لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . فيما جرى بينهما من كلام .: تكلّم أنت ولا تقل إلاّ حقّاً**(3)**؟!

(1) روح المعاني 22|5.
(2) روح المعاني 28|155.
(3) أخرجه الطبراني في الأوسط والخطيب في التاريخ من حديث عائشة، وذكره الغزالي في آداب المعاشرة من كتاب النكاح من إحياء علوم الدين 2|43.

وقالت له صلى الله عليه وآله وسلم مرّةً في كلام غضبت عنده: أنت الذي تزعم أنّك رسول الله؟!(1)!!

وأخرج أحمد وأبو داود(2) عن النعمان بن بشير، قال: جاء أبو بكر يستأذن على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فسمع عائشة وهي رافعة صوتها على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فأذن له فدخل فقال: يا ابنة أُمّ رومان . وتناولها .: أترفعين صوتك على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟! قال: فحال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بينه وبينها.. الحديث.

وقد بلغ بها الحال أن أغاظت الحليم غيظاً، حتّى قال صلى الله عليه وآله وسلم لأَبي بكر: يا أبا بكر، ألا تعذرني من عائشة؟!(3).

أم هل كان من قول المعروف قولها . لمّا استفزّت حميّة الناس، وألّبتهم على قتل عثمان .: اقتلوا نعثلاً، قتل الله نعثلاً(4)؟!

---

(1) أخرجه أبو يعلى في مسنده وأبو الشيخ في كتاب الآمثال من حديثها معنعناً، وذكره الغزالي أيضاً في الموضع المذكور آنفاً.
(2) مسند أحمد 4|272، سنن أبي داود 4|300 ح 4999، باب ما جاء في المزاح من كتاب النكاح.
(3) طبقات الصحابة 8|56 ـ طبعة ليدن سنة 1322 هـ.
(4) بل هي أوّل من سمّته بذلك؛ راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 6|215، و 20|17 و22، وتاريخ الطبري 3|477، والنهاية ـ لابن الآثير ـ 5|80، وتاج العروس 8|141، والكامل في التاريخ 3|206، طبعة دار صادر، بيروت، سنة 1402 هـ.
وقال الجوهري في الصحاح 5|1832 ـ مادّة «نعثل»: النعثل: الذَكَر من الضباع، ونعثل اسم رجل كان طويل اللحية، وكان عثمان إذا نيل منه وعيب شُبّه بذلك الرجل. انتهى.
وقال ابن الآثير في النهاية 5|79 ـ 80: في مقتل عثمان: «لا يمنعنّك مكان ابن سلاّم أن تسبّ نعثلاً» كان أعداء عثمان يسمّونه نعثلاً تشبيهاً برجل من مصر

وما عساك أن تقول في قولها . لمّا انتهى إليها قتل عليٍ عليه السلام .:

فألقت عصاها واستقرّ بها النوى *** كما قرّ عيناً بالإياب المسافرُ

وسألت عن قاتله فقيل: رجل من مراد، فقالت:

فإن يَكُ نائياً فلقد نعاه *** غلامٌ ليس في فيه الترابُ

فقالت زينب بنت أبي سلمة: أَلِعَلِيٍ تقولين هذا؟! فقالت: إنّي أنسى، فإذا نسيت

فذكّروني!!(1).

وهل كان من امتثال أمر الله تعالى بقرارها في بيتها خروجها . دون صواحبها من أُمّهات المؤمنين . بذلك العسكر الجرّار؟!

أم كيف رأت بيت ابن ضبّة بيتها الذي أمر الله أن تقرّ فيه؟!

بل ما أشدّ انتهائها بنهي الله إيّاها عن التبرّج، إذ حسبت قيادتها لتلك الجيوش سُرداقاً ضربه طلحة والزبير عليها يصونها عن تبرّج الجاهلية الاَُولى ويفرّغها للصلاة والزكاة وطاعة الله ورسوله!!

أم كان من طاعة الله ورسوله بغيها وخروجها على إمام زمانها وسفكها دماء المسلمين، في وقعة الجمل؟! وركوبها البغل وتأجيجها نار الفتنة يوم

= كان طويل اللحية اسمه نعثل، وقيل: النعثل: الشيخ الاَحمق، وذَكَرُ الضباع؛ قال: ومنه حديث عائشة: «اقتلوا نعثلاً، قتل الله نعثلاً» تعني عثمان. انتهى.
وقال الفيروزآبادي في القاموس 4|59: النعثل ـ كجعفر ـ: الذَكَر من الضباع، والشيخ الاَحمق، ويهودي كان بالمدينة، ورجل لحياني ـ أي طويل اللحية ـ كان يُشبّه به عثمان إذا نيل منه. انتهى.
وانظر: تاريخ الطبري 3|400، والإمامة والسياسة ـ لابن قتيبة ـ: 43، في مخاطبتهم عثمان نعثلاً، فمن شطط الآلوسي ما ذكره في ج 22|11 من روح المعاني في هذا المقام، فراجع واحكم بالحقّ ولا تشطط.
(1) تاريخ الطبري 4|115، طبقات الصحابة 3 القسم الاَوّل ص 27، مقاتل الطالبيّين: 26.

دفن سيّد شباب أهل الجنّة أبي محمّد الحسن الزكي عليه الصلاة والسلام؟!

إلى غير ذلك ممّا لا تحيط به الطروس والمزابر، ولا تفي بحقّه الدروس والمنابر.

وكان ما كان ممّا لست أذكره .....

وقد تبيّن بهذا أنّ عائشة لم تدخل في جملة نساء النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم اللواتي هنّ أفضل من غيرهنّ، لعدم وفائها بالشرط، أعني الاتّقاء.

هذا، مع أنّا نعرف لاَُمّهات المؤمنين رضي الله تعالى عنهنّ قدرهنّ وفضلهنّ ومكانتهنّ من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتّى وقع الاتّفاق على طهارة عائشة ممّا رُميت به، وأنّ مَن قذفها بما برّأها الله تعالى منه فقد كفر بالله العظيم(1)

. وأمّا قولنا: إنّ أُمّ المؤمنين خديجة رضي الله عنها أفضل الاَزواج الطاهرات، فقد حُكي عن الجاحظ في كتاب «الاِنصاف» أنّه أنكر غاية الاِنكار على من يساوي عائشة بخديجة أو يفضّلها عليها(2).

وقال القاري في «مرقاة المفاتيح»(3): قال الاَكمل: روي عن أبي حنيفة أنّ عائشة بعد خديجة أفضل نساء العالمين. انتهى.

---

(1) اختلف أصحابنا فى آيات الاِفك، فقال بعضهم ـ كصاحب «مجمع البيان» وبعض المتأخّرين ـ: إنّها نزلت في عائشة في حديث الاِفك؛ وقال آخرون: إنّها نزلت في ماريّة القبطيّة. فراجع: مجمع البيان 7|131، والفصول المهمّة ـ لشرف الدين العاملي ـ: 146، والميزان في تفسير القرآن 15|89.

(2) الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف: 294، دلائل الصدق ج 3 ـ القسم الثاني ـ ص 151.

(3) مرقاة المفاتيح 5|348.

قلت:

وهو ظاهر كلام السهيلي في «الروض الاَُنُف»(1)، بل هو مذهب جمهور المحقّقين، كالاِمام تقيّ الدين السبكي والشيخ الاِمام جلال الدين البلقيني وشيخ الاِسلام الحافظ ابن حجر العسقلاني(2) وغيرهم من أكابر أهل العلم والحديث.

واحتجّوا لذلك بما أخرجه البخاري في صحيحه(3) عن عليٍ عليه السلام قال: سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يقول: خير نسائها مريم ابنة عمران، وخير نسائها خديجة.

قال القاضي أبو بكر بن العربي: خديجة أفضل نساء الاَُمّة مطلقاً لهذا الحديث(4)،، وقال أيضاً: لا خلاف في أنّ خديجة أفضل من عائشة(5).

وقال الحافظ ابن حجر(6): دلّ هذا الحديث على أنّ مريم أفضل من آسية، وأنّ خديجة

أفضل نساء هذه الاَُمّة. انتهى.

وقال أيضاً(7)ير: استدلّ بهذا الحديث على أنّ خديجة أفضل من عائشة.

---

(1) الروض الآُنف 7|569.
(2) فتح الباري 7|167.
(3) صحيح البخاري ـ كتاب أحاديث الاَنبياء ـ باب (وإذ قالت الملائكة يا مريم إنّ الله اصطفاك) إلى آخره.
(4) فتح الباري 6|543.
(5) فتح الباري 7|173.
(6) فتح الباري 6|543.
(7) فتح الباري 7|168.

واحتجّوا أيضاً بما رواه البخاري ومسلم(1) وغيرهما عن أبي هريرة قال: أتى جبريل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله، هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربّها ومنّي، وبشِّرها ببيت في الجنّة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب.

واستدلّ بهذه القصّة أبو بكر ابن داود على أنّ خديجة أفضل من عائشة، لاَنّ عائشة سلَّم عليها جبريل من قبل نفسه وخديجة أبلغها السلام من ربّها(2)

. وأخرج البزّار والطبراني، عن عمّار بن ياسر رضي الله عنهما، مرفوعاً: لقد فضلت خديجة على نساء أُمّتي كما فضلت مريم على نساء العالمين.

قال الحافظ شهاب الدين ابن حجر في «شرح البخاري»(3): حديث حسن الإِسناد.

وأخرج الحاكم في «المستدرك»(4) . وصحّحه على شرط الشيخين، وأقرّه الذهبي . عن عائشة، عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، قال: سيّدات نساء أهل الجنّة أربع: مريم وفاطمة وخديجة وآسية.

---

(1) صحيح البخاري ـ كتاب مناقب الاَنصار ـ باب تزويج النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم خديجة وفضلها رضي الله عنها، صحيح مسلم ـ كتاب الفضائل ـ باب من فضائل خديجة أُمّ المؤمنين

رضي الله عنها.
(2) فتح الباري 7|173، مرقاة المفاتيح 5|348.
(3) فتح الباري 7|168، إرشاد الساري 6|167، وأخرجه الطبري في تفسيره 3|181 عن عمّار بن سعد.
(4) المستدرك على الصحيحين 3|185.

قال المناوي في «فيض القدير»(1): قال جمعٌ: هذا نصٌّ صريح في تفضيل خديجة على عائشة وغيرها من زوجاته صلى الله عليه وآله وسلم ، لا يحتمل التأويل. انتهى.

وقال أيضاً(2): خديجة أفضل أُمّهات المؤمنين، قال الحافظ العراقي: على الصحيح المختار، وذكر نحوه ابن العماد وسبقهما السبكي. انتهى.

وقال ابن حجر في (الفتح)(3): ومن صريح ما جاء في تفضيل خديجة . أي على عائشة . ما أخرجه أبو داود والنسائي وصحّحه الحاكم من حديث ابن عبّاس، رفعه: أفضل نساء أهل الجنّة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمّد.

وعند النسائي بإسناد صحيح عن ابن عبّاس: «أفضل نساء أهل الجنّة خديجة وفاطمة ومريم وآسية» وعند الترمذي بإسناد صحيح عن أنس: «حسبك من نساء العالمين» فذكرهنّ(4).

هذا، وقد ذهبت جماعة قليلة . ممّن سبق الرجل . إلى تفضيل عائشة على خديجة أُمّ المؤمنين رضي الله تعالى عنها وأرضاها، محتجّين بما لا ينجع، وقد تصدّى الحافظ شيخ الإِسلام ابن حجر في «شرح البخاري»(5) لتزييف حجّتهم ودحضها.

وحسبك دليلاً على نفي تفضيل عائشة ما رووه عنها أنّها قالت: كان

---

(1) فيض القدير 4|124، ونقل ذلك عن الحافظ ابن حجر كما في ص 74 من «إتحاف السائل».
(2) فيض القدير 3|431.
(3) فتح الباري 7|173.
(4) فتح الباري 6|543.
(5) فتح الباري 7|136.

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يكاد يخرج من البيت حتّى يذكر خديجة فيحسن الثناء عليها، فذكرها يوماً من الأيّام فأدركتني الغيرة فقلت: هل كانت إلاّ عجوزاً! فقد أبدلك الله خيراً منها؛ فغضب حتّى اهتزّ مقدم شعره من الغضب ثمّ قال: لا والله ما أبدلني الله خيراً منها.. الحديث(1).

بل قد روي عنها ما هو صريح في تفضيل غيرها عليها، قالت عائشة(2)ذِ: ما رأيت امرأة قطّ خيراً في الدين من زينب . يعني بنت جحش زوج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . وأتقى لله وأصدق حديثاً وأوصل للرحم وأعظم أمانة وصدقة.

وأخرج الترمذي من طريق كنانة . مولى أُمّ المؤمنين صفيّة رضي الله عنها . أنّها حدّثته، قالت: دخل علَيَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد بلغني عن عائشة وحفصة كلام فذكرتُ له ذلك، فقال: ألا قلتِ: وكيف تكونانِ خيراً منّي وزوجي محمّد وأبي هارون وعمّي موسى؟! وكان بلغها أنّهما قالتا: نحن أكرم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منها، نحن أزواجه وبنات عمّه(3).

على أن خديجة رضي الله عنها أوّل الناس إسلاماً وتصديقاً برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الإطلاق، وأنّى لعائشة مثل هذه الخصيصة، بل نزل القرآن فيها وفي صاحبتها مخاطباً لهما بقوله: (إنْ تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما وإنْ تظاهرا عليه فإنّ الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير * عسى ربّه إنْ طلّقكنّ أنْ يبدله

---

(1) الإستيعاب في معرفة الأصحاب 4|286 ـ 287، الإصابة في تمييز الصحابة 4|283.
(2) أسد الغابة في معرفة الصحابة 7|127.
(3) سنن الترمذي 5|708 ح 2892، الاستيعاب 4|348، الإصابة 4|347.

أزواجاً خيراً منكنّ مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيّبات وأبكاراً).

فما يقول مخالفونا في ذلك؟! وفي ما أتمّه الله عليهما من الحجّة البالغة بالمثل العظيم الذي ضربه لهما بقول جلّ ثناؤه: (ضرب الله مثلاً للّذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع

الداخلين)؟!

أَوَلَسنا معذورين بعد هذا . يا أُولي الألباب . في تفضيل البضعة الطاهرة الزكيّة، وسائر أُمّهات المؤمنين رضي الله عنهنّ أجمعين على عائشة وحفصة؟!

ولا إخالك ترتاب في ذلك من بعد الموازنة بين حال الفريقين بميزان الحقّ ومعيار الإِنصاف، وللكلام تتمّة تأتي إن شاء الله تعالى.

* الثالث:

زعمه التعميم في تفضيل نساء النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بالنسبة إلى سائر النساء، وتخصيص فاطمة الزهراء عليها السلام بالتفضيل على نساء المؤمنين بعد أُمّهاتهم، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : خير نسائها فاطمة بنت محمّد.

وفيه أوّلاً: أنّا ذكرنا آنفاً أنّه لا يلزم من تفضيل نسائه صلى الله عليه وآله وسلم على غيرهنّ تفضيلهنّ على بضعة الرسول فاطمة الزهراء البتول عليها الصلاة والسلام، وسيأتي مزيد بسط له إن شاء الله تعالى.

وثانياً: أنّ دعوى التعميم في تفضيل الأَزواج والتخصيص في تفضيل

البضعة الشريفة، بتوهّم أنّ المراد من قوله صلى الله عليه وآله وسلم : «خير نسائها» خصوص نساء الأَرض في عصرها . كما استظهره النووي(1) . مدفوعة، بأنّه على هذا التقدير أيضاً تثبت أفضليّتها على جميع أُمّهات المؤمنين رضي الله عنهنّ خلا أُمّها خديجة . كما لا يخفى .، مضافاً إلى أنّ ظاهر مَن فضّلهنّ إنّما فضّلهنّ على مَن دون فاطمة عليها السلام ، ويفصح عن ذلك ما حُكي عن شيخ الإِسلام ابن حجر أنّه قال: يدلّ لتفضيل بناته صلى الله عليه وآله وسلم على زوجاته خبر أبي يعلى عن عمر مرفوعاً: «تَزَوَّجَ حفصةَ خيرٌ من عثمان، وتزوّج عثمانُ خيراً من حفصة»(2).

وقال الشهاب الآلوسي(3): لو قال قائل: إنّ سائر بنات النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أفضل من عائشة لا أرى عليه بأساً. انتهى.

ويردّ دعوى التخصيص أيضاً قول الحافظ العسقلاني في (الفتح)(4)مِ: أقوى ما استدلّ به على

تقديم فاطمة عليها السلام على غيرها من نساء عصرها ومَن بعدهنّ خبر: «إنّ فاطمة سيّدة نساء العالمين إلاّ مريم» وأنّها رُزئت بالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم دون غيرها من بناته، فإنّهنّ متن في حياته فكنّ في صحيفته، ومات صلى الله عليه وآله وسلم في حياتها فكان في صحيفتها.

قال: وكنت أقول ذلك استنباطاً إلى أن وجدته منصوصاً في تفسير الطبري. انتهى.

فظهر أنّ ما صحّحه الرجل في آخر كلامه غير صحيح، ولم يحصل

---

(1) شرح صحيح مسلم 9|303.
(2) فيض القدير 2|462 ـ 463.
(3) روح المعاني 3|156.
(4) كما في فيض القدير 4|422.

التوفيق بما تمحّله؛ لأنّك قد عرفت أنّ التفضيل في الآية مقصور على أُمّهات المؤمنين رضي الله عنهنّ، وليست الآية ناظرة إلى مَن خرج عنها تخصّصاً كالزهراء عليها السلام ، إذ إنّها غير مسوقة لبيان فضل نسائه صلى الله عليه وآله وسلم على آحاد النساء من هذه الاَُمّة وغيرها . كما مرّ ..

وأمّا الحديث فقد تقدّم أنّه على التعميم أدلّ، فلا تعارض بين الآية والحديث حتّى يلتمس للتوفيق بينهما وجه.

وأمّا قوله: «فإنّه عليه السلام لم يقل خير النساء فاطمة» فساقط مردود لِما أخرجه أحمد والشيخان وغيرهم . من حديث طويل . عن عائشة، أنّه صلى الله عليه وآله وسلم قال: يا فاطمة، ألا ترضين أن تكوني سيّدة نساء المؤمنين؛ أو: سيّدة نساء هذه الاَُمّة.

وفي لفظ آخر: ألا ترضين أن تكوني سيّدة نساء العالمين.

والجمع المضاف يفيد العموم والاستغراق . كما تقرّر في الاَُصول .، ولا عهدَ هنا، فهو في قوّة «خير النساء فاطمة» فأيّ نصّ أصحّ وأصرح من هذا في تفضيلها عليها الصلاة والسلام على الإِطلاق؟!

فأين تذهبون؟! وأنّى تؤفكون؟! (إنّه لقول رسول كريم* ذي قوّة عند ذي العرش مكين* مطاع ثَمّ أمين* وما صاحبكم بمجنون).

هذا تمام الكلام في أُولى الدعويين.

* وأمّا الثانية منهما:

فقد ذهب فيها إلى القول بتفضيل عائشة على خديجة رضي الله عنها.

واستدلّ لذلك بما روي عن أنس بن مالك، أنّه قيل: يا رسول الله، من أحبّ الناس إليك؟ قال: عائشة، قال: فمن الرجال؟ قال: أبوها.

قال النعساني: وروي هذا من طريق عمرو بن العاص، والنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لا ينطق عن الهوى، فلولا أنّ الله أوحى بذلك إليه لم يقع ذلك منه، وهذا يدلّ على أنّ عائشة أفضل النساء. انتهى(**1**).

قلت:

قد سلف الكلام في التفضيل بين أُمّ المؤمنين خديجة رضي الله عنها وعائشة بنت أبي بكر، وعرفت الحقّ فيه، فإذن لا يُعبأ بقوله.

نعم، حكى شيخ الإِسلام ابن حجر عن ابن القيِّم أنّه قال: إنْ أُريد بالتفضيل كثرة الثواب عند الله فذاك أمر لا يُطَّلع عليه، فإنّ عمل القلوب أفضل من عمل الجوارح، وإنْ أُريد كثرة العلم فعائشة لا محالة.

وتعقّبه بأنّ ما امتازت به عائشة من فضل العلم فإنّ لخديجة ما يقابله، وهي أنّها أوّل من أجاب إلى الإِسلام ودعا إليه وأعان على ثبوته بالنفس والمال والتوجّه التامّ، فلها مثل أجر من جاء بعدها، ولا يقدّر قدر ذلك إلاّ الله. انتهى(**2**).

فتحصّل من جميع ما ذكرنا أنّه ليس لعائشة ما تفضل به على خديجة رضي الله عنها إلاّ ما يدّعى من حديث الثريد، وسيأتي إن شاء الله البحث فيه بما ليس عليه من مزيد.

(1) الدرّ النضيد من مجموعة الحفيد: 55.
(2) فتح الباري 7|136.

وأمّا ما احتجّ به من الحديث على تفضيل عائشة على سائر النساء، فغير صالحٍ للاحتجاج، وذلك من وجوه ثلاثة:

الأوّل: أنّ حديث أنس لم يروه عنه إلاّ حُميد بن أبي حُميد الطويل(1)، وكان يدلِّس عن أنس.

قال أبو بكر البرديجي: حديث حُميد لا يُحتجّ منه إلاّ بما قال: «حدّثنا أنس»(2).

قلت:

وقد عنعن في حديثه هذا(3) ولم يصرّح بالتحديث.

وأمّا حديث عمرو بن العاص، فقد أخرجه الشيخان والترمذي(4)، عن خالد بن مهران الحذّاء، عن أبي عثمان النهدي، عنه؛ لكنّه منقطع.

قال عبدالله بن أحمد بن حنبل في كتاب «العلل» عن أبيه: لم يَسمع خالد الحذّاء من أبي عثمان النهدي شيئاً.

وقال أبو حاتم: يُكتب حديثه ولا يُحتجّ به(5).

الثاني: أنّه معارِض لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «أحبّ أهلي إليّ فاطمة» أخرجه

(1) سنن ابن ماجة 1|38 ح 101، سنن الترمذي 5|707 ح 3890.
(2) تهذيب التهذيب 2|26.
(3) سنن ابن ماجة 1|38 ح 101، سنن الترمذي 5|707 ح 3890.
(4) صحيح البخاري 5|209 ـ 210 ـ كتاب فضائل الصحابة ـ باب قول النبيّ 6: لو كنت متّخذاً خليلاً، كتاب المغازي ـ باب غزوة ذات السلاسل، صحيح مسلم 4|1856 ح 2384 ـ كتاب الفضائل ـ باب (من فضائل أبي بكر)، سنن الترمذي 5|706 ح 3885.
(5) تهذيب التهذيب 2|74.

الترمذي والحاكم وصحّحه، وكذا الطبراني والديلمي وغيرهم عن أُسامة بن زيد، ورمز السيوطي في «الجامع الصغير» لصحّته.

قال المناوي في «فيض القدير»(1): حبّه إيّاها . يعني فاطمة عليها السلام . كانت أحبّيّة مطلقة، وأمّا غيرها فعلى معنى (مِنْ)(2)، وحبّه لها كان جبّلّيّاً ودينيّاً، لِما لها من جموم المناقب والفضائل. انتهى.

وأخرج الترمذي والحاكم، عن ابن بريدة، عن أبيه، قال: كان أحبّ النساء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة عليها السلام ، ومن الرجال عليّ عليه السلام (3).

وروى جُميع بن عمير التيمي أنّ عائشة سُئلت: أيّ الناس كان أحبّ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ قالت: فاطمة، فقيل: من الرجال؟ قالت: زوجها(4)4.

والاَحاديث في ذلك كثيرة، والسنن شهيرة وفيرة، فلا غرو لو ادُّعي الوضع والاختلاق في حديث أنس وعمرو بن العاص، إذ لا تكاد تجد منقبة من مناقب الآل إلاّ وافتعل النواصب في حقّ أوليائهم ما ينقاضها ويعارضها، فكيف تسنّى له أن يسند ذلك إلى إيحاء الله تعالى به لنبيّه صلى الله عليه وآله وسلم ، والله المستعان على ما يصفون.

---

(1) فيض القدير 1|168، إتحاف السائل: 27.
(2) أي: مِن أحبّ النساء إليَّ عائشة، وهذا لا يمنع أن تكون فاطمة عليها السلام على رأسهنّ محبّةً.
(3) سنن الترمذي 5|698 ح 3868، المستدرك على الصحيحين 3|155، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الاِسناد، ورواه النسائي أيضاً في الخصائص: 29، وابن عبد البرّ في الاستيعاب 4|378.
(4) أخرجه الترمذي في سننه 5|701 ح 3874، والحاكم في المستدرك 3|154 و 155 و 157، والنسائي في الخصائص: 29، وغيرهم.
وانظر: فضائل الخمسة 2|206 ـ 209.

الثالث: أنّ الكلام في الأَفضليّة لا في المحبّة، ولا يلزم من أكثرية المحبّة تحقّق الأَفضليّة، إذ محبّة الأَولاد وبعض الأَقارب أمر جبلّيّ مع العلم القطعي بأنّ غيرهم قد يوجد أفضل منهم(1).

هذا، مع تنصيص عائشة على أفضلية فاطمة الزهراء عليها السلام في ما أخرجه الطبراني بترجمة إبراهيم بن هاشم من «المعجم الأَوسط» عن عائشة، قالت: ما رأيت قطّ أحداً أفضل من فاطمة غير أبيها.

قال ابن حجر في «الإِصابة»(2): صحيح على شرط الشيخين. انتهى.

وهو كافٍ في تفضيل فاطمة الزهراء عليها السلام على عائشة، فبطل قول النعساني: إنّ عائشة أفضل النساء، ومع ذلك فقد ثبت تفضيلها عليها الصلاة والسلام بالكتاب العزيز ونصوص السُنّة المطهَّرة وأقوال العلماء.

فمن آيات الكتاب الدالّة على تفضيلها بلا ارتياب قوله عزّ اسمه في آية المباهلة: (فمن حاجّك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا نَدْعُ أبناءَنا وأبناءَكم ونساءَنا ونساءَكم وأنفسَنا وأنفسَكم ثمّ نبتهل فنجعلْ لعنة الله على الكاذبين).

وقد أجمع أهل القِبلة على أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لم يدع للمباهلة من النساء سوى البضعة الزهراء، وأُمّهات المؤمنين رضي الله عنهنّ كنّ حينئذٍ في حجراته صلى الله عليه وآله وسلم ، فلم يدع واحدة منهنّ . ولا عائشة . وهنّ بمرأىً منه ومسمع.

وأنت تعلم أنّ مباهلته صلى الله عليه وآله وسلم بعليٍ وفاطمة والحسنين عليهم السلام ،

---

(1) مرقاة المفاتيح 5|602.
(2) الإِصابة في تمييز الصحابة 4|378.

والتماسه منهم التأمين على دعائه، بمجرّده فضل عظيم، وانتخابه إيّاهم لهذه المهمّة العظيمة، واختصاصهم بهذا الشأن الكبير وإيثارهم فيه على من سواهم من أهل السوابق، فضل على فضل، لم يسبقهم إليه سابق، ولن يلحقهم فيه لاحق، ونزول القرآن العزيز آمراً

بالمباهلة بهم بالخصوص فضل ثالث، يزيد فضل المباهلة ظهوراً، ويضيف إلى شرف اختصاصهم بها شرفاً، وإلى نوره نوراً . كما قال الإمام شرف الدين العاملي رحمه الله(1) .

وقال ؛: إنّ اختصاص الزهراء من النساء والمرتضى من الأنفس . مع عدم الاكتفاء بأحد السبطين من الأبناء . دليل على ما ذكرناه من تفضيلهم عليهم السلام ، لأنّ عليّاً وفاطمة لمّا لم يكن لهما نظير في الأنفس والنساء كان وجودهما مغنياً عن وجود مَن سواهما، بخلاف كلٍّ من السبطين، فإنّ وجود أحدهما لا يغني عن وجود الآخر لتكافُئهما، ولذا دعاهما صلى الله عليه وآله وسلم جميعاً، ولو دعا أحدهما دون صنوه كان ترجيحاً بلا مرجّح، وهذا ينافي الحكمة والعدل.

نعم، لو كان ثمّة من الأبناء من يساويهما لدعاه معهما، كما أنّه لو كان لعليٍ نظير من الأنفس أو لفاطمة من النساء لَما حاباهما، عملاً بقاعدة الحكمة والعدل والمساواة. انتهى(2).

ومنها: قوله جلّ وعلا في آية التطهير: (إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً) وقد علم كلّ منصف أنّ هذه الآية البيّنة إنّما نزلت في الخمسة أصحاب الكساء، ومنهم فاطمة سيّدة النساء، وكفاك هذا برهاناً على أنّهم أفضل من أقلّته الأرض يومئذٍ ومن

---

(1) الكلمة الغرّاء في تفضيل الزهراء عليها السلام ـ المطبوع مع «الفصول المهمّة» ـ: 200.
(2) الكلمة الغرّاء: 201.

أظلّته السماء.

ومنها: قوله تبارك وتعالى في آية المودّة: (قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى) وقد روى الجمهور أنّه لمّا نزلت هذه الآية قالوا: يا رسول الله، من قرابتك هؤلاء الّذين وجبت علينا مودّتهم؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم : عليٌّ وفاطمة وابناهما(1).

ومنها: قوله عزّ من قائل في آيات الأبرار: (إنّ الأبرار يشربون من كأسٍ كان مزاجها كافوراً* عيناً يشرب بها عباد الله يفجّرونها تفجيراً) إلى آخر السورة، وقد أجمعنا على نزولها في عليٍ

وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ، ورواه الواحدي في «البسيط» والثعلبي في تفسيره وأبو المؤيَّد موفّق بن أحمد في كتاب «الفضائل» وغير واحد من الحفظة وأهل الضبط عن ابن عبّاس رضي الله عنه ، وفيها من الدلالة على فضل هؤلاء عليهم السلام ما لا يخفى، وقد أبان سيّدنا الإمام شرف الدين العاملي رضي الله عنه طرفاً من ذلك في «الكلمة الغرّاء» فمن شاء فليرجع إليها وليقف على كلمة الفصل فيها، والله الموفّق.

وأمّا السُنّة الثابتة في تفضيلها عليها السلام فهي كثيرة لا تحصى، ووفيرة لا تستقصى، فلنورد منها هنا طرفاً ممّا ظفرنا به، والله المستعان.

أخرج الشيخان في صحيحيهما(2) عن عائشة، أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال:

---

(1) أخرجه أحمد والطبراني والحاكم وابن أبي حاتم عن ابن عبّاس رضي الله عنه ، وأخرجه عنه أيضاً ابن المنذر وابن مردويه والمقريزي والبغوي والثعلبي في تفاسيرهم والسيوطي في «الدرّ المنثور» وأبو نعيم في «حلية الأولياء» والحموييني في «فرائد السمطين» وغيرهم من المحدّثين والمفسّرين، وراجع «الرسالة المكّيّة» للسيّد كاظم الرشتي، فقد بسط فيها الكلام على الآية الشريفة.

(2) صحيح البخاري 8|79 ـ كتاب الاستئذان ـ باب من ناجى بين يدي الناس،

=

يا فاطمة، ألا ترضين أن تكوني سيّدة نساء المؤمنين . أو : سيّدة نساء هذه الاَُمّة .؟!

وأخرج الحاكم في «المستدرك»(1) وصحّحه، عنها، أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال . وهو في مرضه الذي توفّي فيه .: يا فاطمة، ألا ترضين أن تكوني سيّدة نساء العالمين، وسيّدة نساء هذه الاَُمّة، وسيّدة نساء المؤمنين؟!

وأخرج الترمذي في (سننه)(2) عن حذيفة، أنّه صلى الله عليه وآله وسلم قال: إنّ هذا مَلَك لم ينزل الاَرض قطّ قبل هذه الليلة، استأذن ربّه أن يسلّم علَيَّ ويبشّرني بأنّ فاطمة سيّدة نساء أهل الجنّة، وأنّ الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة.

وعن عمران بن حصين، أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال لفاطمة عليها السلام : يا بُنيّة،

=

و 4|247 ـ 248 ـ كتاب بدء الخلق ـ باب علامات النبوّة، صحيح مسلم 4|1904 ـ 1905 ح 98 ـ كتاب فضائل الصحابة ـ باب فضائل فاطمة عليها السلام .

وراجع: مسند أحمد 6|282، وطبقات الصحابة 2|40، وأُسد الغابة ـ بترجمة فاطمة عليها السلام ، والخصائص ـ للنسائي ـ: 34، ومسند أبي داود الطيالسي ج 6 في أحاديث النساء، وحلية الأولياء 2|29، ومشكل الآثار 1|48 و 49، وفضائل الخمسة 3|169 ـ 171.

(1) المستدرك على الصحيحين 3|156، الإصابة 4|.378.

(2) الجامع الصحيح 5|660 ـ 661 ح 3781 باب مناقب الحسن والحسين عليهما السلام، وراجع: المستدرك 33|151، ومسند أحمد 5|391، وحلية الأولياء 4|190، وكنز العمّال 6|217 ، وقال المتّقي: أخرجه الروياني وابن حبّان في صحيحه عن حذيفة، وفي ص 218 قال: أخرجه ابن عساكر عن حذيفة، و ج 7|102 قال: أخرجه ابن جرير عن حذيفة، وفي ص 111 قال: أخرجه ابن أبي شيبة، وروى نحوه عن عليٍ عليه السلام وقال: أخرجه البزّار، وكذا أخرج نحوه النسائي في الخصائص: ص 34 عن أبي هريرة، والمتّقي في الكنز 6|221 قال: أخرجه الطبراني وابن النجّار عن أبي هريرة.

أما ترضين أنّكِ سيّدة نساء العالمين؟! قالت: يا أبتِ فأين مريم ابنة عمران؟ قال: تلك سيّدة نساء عالَمها، وأنتِ سيّدة نساء عالَمك، أما والله زوَّجتكِ سيّداً في الدنيا والآخرة(1).

وعن جابر بن سمرة، أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: أما إنّها . يعني فاطمة عليها السلام . سيّدة النساء يوم القيامة(2).

وأخرج الحاكم في «المستدرك»(3) عن عائشة، قالت لفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ألا أُبشِّرك أنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: سيّدات نساء أهل الجنّة أربع: مريم بنت عمران، وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وخديجة بنت خويلد، وآسية.

وأخرج الحاكم والطبراني والخطيب(4) أنّه صلى الله عليه وآله وسلم قال لفاطمة عليها السلام : أما ترضين أنّي زوّجتك أوّل المسلمين إسلاماً، وأعلمهم علماً، فإنّكِ سيّدة نساء أُمّتي كما سادت مريم قومها.. الحديث.

وأخرج أحمد في مسنده والحاكم في «المستدرك»(5) وصحّحه، عن ابن عبّاس رضي الله عنه ، قال: خطّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أربعة خطوط، ثمّ قال: أتدرون ما هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: إنّ أفضل نساء أهل الجنّة

(1) حلية الأَولياء 2|42، مشكل الآثار 1|50، ذخائر العقبى: 43 وقال المحبّ الطبري: خرّجه الحافظ أبو القاسم الدمشقي، الاستيعاب 4|376.
(2) حلية الأَولياء 2|42.
(3) المستدرك على الصحيحين 3|185 وقال: صحيح على شرطهما، وأقرّه الذهبي، ورمز السيوطي في «الجامع الصغير» لصحّته.
(4) كما في كنز العمّال 7|111.
(5) مسند أحمد 1|293 و 316 و 322، المستدرك على الصحيحين 2|497، الاستيعاب 4|285 و 376، الإصابة 4|378، وراجع: فضائل الخمسة 3| 174 ـ 175.

خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمّد، ومريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم..

الحديث.

وأخرج أحمد والترمذي والحاكم(1) عن أنس، أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: حسبك من نساء العالمين مريم ابنة عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمّد، وآسية بنت مزاحم.

وعن أبي موسى الأَشعري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلاّ مريم، وآسية امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمّد صلى الله عليه وآله وسلم (2).

وعن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إنّ الله اصطفى على نساء العالمين أربعة: آسية بنت مزاحم، ومريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمّد صلى الله عليه وآله وسلم (3).

وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : خير نساء العالمين أربع: مريم بنت عمران، وابنة مزاحم امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمّد صلى الله عليه وآله وسلم (4).

(1) المسند 3|135، سنن الترمذي 5|703 ح 3878 ـ باب فضل خديجة رضي الله عنها، المستدرك على الصحيحين 3|57 بطريقين قال في ثانيهما: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، الاستيعاب 4|285 و 377، الإصابة 4|378 عن جابر، فضائل الخمسة 3|176 ـ 177.

(2) جامع البيان ـ تفسير ابن جرير الطبري ـ 3|180، وقال الحافظ في الفتح: أخرجه الطبراني وأخرجه الثعلبي في تفسيره.
(3) الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور 2|23.
(4) الاستيعاب 4|284 و 377، ورواه في صحيفة 285 عن أنس، الإصابة 4|378، ورواه أحمد، والطبراني في الكبير، ورمز السيوطي لصحّته في «الجامع الصغير».

وروى الحارث بن أبي أُسامة في مسنده، عن عروة بن الزبير، مرسلاً(1): خديجة خير نساء عالَمها، ومريم خير نساء عالَمها، وفاطمة خير نساء عالَمها.

وأخرج البخاري(2) عن المسور بن مخرمة، أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: فاطمة بضعة منّي، فمن أغضبها أغضبني.

قال المناوي: استدلّ به السهيلي على أنّ من سبّها عليها السلام كفر، لأنّه يغضبه صلى الله عليه وآله وسلم ، وأنّها أفضل من الشيخين(3).

وأخرج الحاكم(4) عن أبي سعيد الخدري، أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: فاطمة سيّدة نساء أهل الجنّة إلاّ مريم بنت عمران.

قال في «فيض القدير»(5): فعُلِم أنّها أفضل من عائشة لكونها بضعة منه صلى الله عليه وآله وسلم ، وخالف فيه بعضهم.

قال السبكي: الذي نختاره وندين الله به أنّ فاطمة أفضل ثمّ خديجة ثمّ عائشة، ولم يَخْفَ عنّا الخلاف في ذلك، ولكن إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل.

قال المناوي(6): قال الشيخ شهاب الدين بن حجر الهيتمي: ولوضوح

---

(1) فيض القدير 3|432، قال المناوي: قالوا: وهو مرسَل صحيح.
(2) صحيح البخاري 5|26 ـ كتاب فضائل الصحابة ـ باب مناقب فاطمة عليها السلام . وراجع: فضائل الخمسة 3|184 ـ 188.
(3) فيض القدير 4|421، فتح الباري 7|132.
(4) المستدرك على الصحيحين 3|154.
(5) فيض القدير 4|421 ـ 422، وقال في إتحاف السائل: 85: فعُلِم أنّها أفضل من أُمّها خديجة، وما وقع في الآخبار ممّا يوهم أفضليّتها فإنّما هو من حيث الاُمومة فقط، وعلى عائشة على الصحيح، بل الصواب.
(6) إتحاف السائل: 85 ـ 86.

ما قاله السبكي تبعه عليه المحقّقون، وممّن تبعه عليه الحافظ أبو الفضل بن حجر، فقال في موضع: هي مقدَّمة علي غيرها مِن نساء عصرها، ومَن بعدهنّ مطلقاً. انتهى.

وأخرج ابن جرير الطبري(1) عن فاطمة عليها السلام ، قالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أنتِ سيّدة نساء أهل الجنّة إلاّ مريم البتول.

تنبيه:

إعلم أنّ (إلاّ) في الحديثين ليست للاستثناء، بل هي عاطفة بمنزلة (الواو) في التشريك في اللفظ والمعنى، كما في قوله تعالى: (لئلاّ يكون للناس عليكم حجّةٌ إلاّ الّذين ظلموا منهم)(2) وقوله تعالى: (لا يخاف لديّ المرسلون * إلاّ من ظلم ثمّ بدّل حسناً بعد سوء)(3).

أي: ولا الّذين ظلموا، ولا مَن ظلم، وهو مذهب الاَخفش والفرّاء وأبي عبيدة، كما حكاه ابن هشام في (المغني)(4).

وهذه الاَحاديث صريحة في تفضيل الصدّيقة الطاهرة عليها السلام على عائشة في الدنيا والآخرة، مع أنّك ترى أنّه لم يجرِ لاَُمّ المؤمنين ذِكرٌ في شيء من هذه الاَحاديث، فضلاً عن تفضيلها.

بل الحقّ الذي ندين الله به أنّ البضعة الشريفة أفضل النساء على

---

(1) جامع البيان في تفسير القرآن 3|181.
(2) سورة البقرة 2: 150.
(3) سورة النمل 27: 10 و 11.
(4) مغني اللبيب عن كتب الاَعاريب 1|101 ـ الباب الاَوّل ـ مبحث (إلاّ) بالكسر والتشديد.

الاِطلاق، حتّى أُمّها رضي الله عنها، وعليه انعقد إجماع أهل الحقّ قاطبةً.

وقد ذكر الحافظ العسقلاني في «فتح الباري»(1) أنّ حديث ابن عبّاس رضي الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «أفضل نساء أهل الجنّة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمّد ومريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون» يقتضي أفضليّة خديجة على غيرها.

وكذا ما أخرجه البخاري عن عليٍ عليه السلام قال: سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم

يقول: «خير نسائها مريم ابنة عمران، وخير نسائها خديجة».

وقال الشهاب القسطلاني في «إرشاد الساري»(2): روى النسائي من حديث داود بن أبي الفرات، عن عليّ بن أحمد السكّري، عن عكرمة، عن ابن عبّاس رضي الله عنهما، عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، قال: أفضل نساء أهل الجنّة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمّد صلى الله عليه وآله وسلم .

قال: وداود بن أبي الفرات وعليّ بن أحمد ثقتان، فالحديث صحيح، وهو صريح في أنّ فاطمة وأُمّها أفضل نساء أهل الجنّة. انتهى.

قلت:

وقد مرّ في الاَحاديث مايدلّ على تفضيل فاطمة عليها السلام على أُمّها، وكذا ما رواه البخاري في صحيحه(3): «فاطمة سيّدة نساء أهل الجنّة»، فانحصرت الاَفضلية المطلقة على النساء بفاطمة الزهراء عليها آلاف التحيّة والثناء.

---

(1) فتح الباري 6|515.
(2) إرشاد الساري 6|141.
(3) صحيح البخاري 5|25 ـ كتاب فضائل الصحابة ـ باب مناقب فاطمة عليها السلام ، إرشاد الساري 6|141.

وأمّا ما روي عن ابن عبّاس مرفوعاً: سيّدة نساء العالمين . وفي رواية: سيّدة نساء أهل الجنّة . مريم ثمّ فاطمة ثمّ خديجة ثمّ آسية(1)، فقد قال الحافظ ابن حجر في (الفتح)(2): إنّ هذا الحديث ليس بثابت، وأصله عند أبي داود والحاكم بغير صيغة ترتيب. انتهى.

وكذا ما روي عنه مرفوعاً: سيّدة نساء أهل الجنّة بعد مريم بنت عمران؛ فاطمة بنت محمّد وخديجة وآسية امرأة فرعون(3).

فإنّ الاَدلّة الاَُخرى التي هي أكثر عدداً وأصحّ سنداً وأصرح دلالةً من هذا الحديث ونحوه توجب الإعراض عمّا يُستشعر منه تفضيل العذراء على الزهراء عليهما السلام كما أفاده في «الكلمة الغرّاء»(4).

هذا، وقد صرّح جمع من الأَئمّة الأَعلام ومشايخ الإِسلام بتفضيل بضعة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم على عائشة ومَن سواها، فلا بأس أن نسرد هنا طرفاً ممّا وقفنا عليه من كلامهم في ذلك، لينجلي لك الحقّ وضوحاً، ويزداد أهل الباطل فضوحاً.

قال الإِمام مالك بن أنس الأَصبحي . إمام دار الهجرة .: لا أُفضّل أحداً على بضعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم **(5)**.

وقال العلقمي: فاطمة وأخوها إبراهيم أفضل من جميع الصحب، لِما فيهما من البضعة الشريفة**(6)**.

---

(1) الاستيعاب 4|285 و 376.
(2) فتح الباري 7|168.
(3) الاستيعاب 4|286.
(4) الكلمة الغرّاء في تفضيل الزهراء عليها السلام: 241.
(5) مرقاة المفاتيح 5|592.
(6) فيض القدير 2|53.

وذكر علم الدين العراقي: أنّ فاطمة وأخاها إبراهيم أفضل من الخلفاء الأَربعة بالاتّفاق**(1)**.

وقال ابن قيّم الجوزيّة: إنْ أُريد بالتفضيل كثرة الثواب عند الله فذلك أمر لا يطّلع عليه إلاّ هو، فإنّ عمل القلوب أفضل من عمل الجوارح، وإنْ أُريد كثرة العلم فعائشة لا محالة، وإنْ أُريد شرف الأَصل ففاطمة لا محالة، وهي فضيلة لا يشاركها فها غير أخواتها، وإنْ أُريد شرف السيادة فقد ثبت النصّ لفاطمة وحدها**(2)**.

وقال ابن حجر: قد ورد من طريق صحيح ما يقتضي أفضليّة خديجة وفاطمة على غيرهما**(3)**.

قلت:

وقد تقدّم آنفاً كلام له في تقديم فاطمة عليها السلام على غيرها من نساء عصرها ومَن

بعدهنّ، فراجع ثمّة إن شئت.

وقال السيوطي . في جواب من سأله عن عائشة وفاطمة أيّهما أفضل؟ .: فيه ثلاثة مذاهب، أصحّها أنّ فاطمة رضي الله عنها أفضل(4).

وقال ابن داود: فاطمة بضعة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فلا نعدل بها أحداً(5).

وقد مرّ عليك قول الإمام تقي الدين السبكي: الذي نختاره وندين الله به أنّ فاطمة أفضل ثمّ خديجة ثمّ عائشة، ولم يَخْفَ عنّا الخلاف في

---

(1) فيض القدير 4|422.
(2) فتح الباري 7|136، فيض القدير 4|297.
(3) فتح الباري 6|515.
(4) الحاوي للفتاوي 2|99.
(5) مرقاة المفاتيح 5|348، شرح الفقه الآكبر: 219.

ذلك، ولكن إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل.

وقال المناوي في «إتحاف السائل»(1): أمّا نساء هذه الاُمّة فلا ريب في تفضيلها عليهنّ مطلقاً، بل صرّح غير واحد أنّها وأخوها إبراهيم أفضل من جميع الصحابة حتّى الخلفاء الاَربعة.

وقال الشيخ العلاّمة أبو الثناء شهاب الدين الآلوسي البغدادي: الذي أميل إليه أنّ فاطمة البتول أفضل النساء المتقدّمات والمتأخّرات، من حيث إنّها بضعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، بل ومن حيثيّات أُخر أيضاً، إذ البضعية من روح الوجود وسيّد كلّ موجود، لا أراها تُقابَل بشيء.

* (وأين الثريّا من يد المتناول) *

قال: ومن هنا يُعلم تفضيلها على عائشة؛ ثمّ قال . بعد كلام له في المسألة .: وبعد هذا كلّه، الذي يدور في خَلَدي أنّ أفضل النساء فاطمة ثمّ أُمّها ثمّ عائشة، بل لو قال قائل: إنّ سائر

بنات النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أفضل من عائشة لا أرى عليه بأساً، وعندي بين مريم وفاطمة توقّف، نظراً للاَفضلية المطلقة، وأمّا بالنظر إلى الحيثية فقد علمتَ ما أميل إليه. انتهى(2).

قلت:

ينبغي التوقّف في ذلك، فقد حكى المناوي في «فيض القدير» (3) عن السيوطي أنّه قال في حديث «فاطمة سيّدة نساء أهل الجنّة»: فيه دلالة على فضلها على مريم سيّما إنْ قلنا بالاَصحّ من أنّها غير نبيّة.

---

(1) إتحاف السائل: 87.
(2) روح المعاني 3|155.
(3) فيض القدير 1|105.

وقد تُقَرَّر أفضليّة الزهراء على العذراء عليهما السلام بأنّ قوله صلى الله عليه وآله وسلم لفاطمة إنّها سيّدة نساء أهل الجنّة، أي من هذه الاَُمّة المحمّديّة، وقد ثبتت أفضلية هذه الاَُمّة على غيرها، فتكون فاطمة . على هذا . أفضل من مريم وآسية(1) ، والله تعالى أعلم.

وقال الآلوسي أيضاً في موضع من «روح المعاني»(2): لا أقول بأنّ عائشة أفضل من بضعته صلى الله عليه وآله وسلم الكريمة فاطمة الزهراء رضي الله تعالى عنها، والوجه لا يخفى.

وقال في موضع آخر منه(3): إنّ فاطمة من حيث البضعية لا يعدلها أحد. انتهى.

وممّن صرّح بأفضليّتها على نساء الدنيا حتّى مريم عليها السلام تقي الدين المقريزي وبدر الدين الزركشي والشيخ العلاّمة أحمد بن زيني بن دحلان مفتي الشافعية بالحرمين الشريفين، وهو اختيار الحافظ السيوطي في كتابيه: «شرح النقاية» و «شرح جمع الجوامع» . كما في السيرة الدحلانية(4) ..

هذا كلّه مضافاً إلى ما حُكي من انعقاد الإِجماع على أفضلية فاطمة عليها الصلاة والسلام .

كما حكاه الحافظ ابن حجر في (الفتح)(5) ..
وأمّا عائشة بنت أبي بكر، فلم يرد نصٌّ بتفضيلها على بضعة الرسول فاطمة الزهراء البتول
كما أشار إلى ذلك عليّ بن عثمان الأَوشي الحنفي في

---

(1) إرشاد الساري 6|141، السيرة النبوية ـ لابن دحلان ـ 1|222.
(2) روح المعاني 18|132.
(3) روح المعاني 28|165.
(4) السيرة النبوية 1|222.
(5) فتح الباري 7|136.

«بدء الأَمالي» حيث قال:
وللصدّيقة الرجحان فاعلم **** على الزهراء في بعض الخلال
قال القاري في «ضوء المعالي»(1): اعلم أنّ المصنّف أراد أنّه لم يرد نصٌّ بتفضيل عائشة على فاطمة، وإنّما ورد رجحانها عليها من جهة كثرة الرواية والدراية. انتهى.

قلت:
هذا مع كونه اجتهاداً في مقابل النصّ الصحيح الصريح، فإنّه سيأتي الجواب عنه إن شاء الله تعالى.
نعم، ذهب أبو حنيفة ـ صاحب المذهب ـ إلى القول بتفضيل عائشة حيث قال: عائشة أفضل نساء المؤمنين(2).
لكن مرّ عن الأَكمل أنّه نقل عن أبي حنيفة أنّ أفضليّتها بعد خديجة، وقد قرّرنا لك آنفاً أنّ فاطمة الزهراء عليها السلام أفضل نساء العالمين على الإِطلاق، حتّى أُمّها خديجة رضي الله تعالى عنها.
وقال محمّد بن سليمان الحلبي في «نخبة اللآلي لشرح بدء الأَمالي»: إنّ عائشة أفضل نساء العالمين مطلقاً، وأحبّ النساء إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، وأعلمهنّ بالسُنّة. انتهى.
واعلم أنّ عمدة ما عندهم في ذلك وجوه زائفة وحجج داحضة، ذكرها الشهاب الآلوسي الحنفي

وأجاب عنها، وهي ثلاثة:

أوّلها: قوله صلى الله عليه وآله وسلم : «خذوا ثلثي دينكم عن الحميراء» وفي لفظ:

---

(1) ضوء المعالي ـ شرح بدء الآمالي ـ: 26.
(2) الفقه الآكبر ـ المطبوع مع شرح القاري ـ: 200.

«خذوا شطر دينكم عن الحميراء».

والجواب: أنّ حديث «خذوا شطر دينكم...» قال فيه الحافظ ابن حجر العسقلاني في تخريج ابن الحاجب: لا أعرف له إسناداً، ولا رأيته في شيء من كتب الحديث إلاّ في «النهاية» لابن الاَثير، ذكره في مادّة ح م ر، ولم يذكر من خرّجه.

وقال السخاوي: ورأيته أيضاً في كتاب «الفردوس» لكن بغير لفظه، وذكره من حديث أنس بغير إسناد أيضاً، ولفظه «خذوا ثلث دينكم من بيت الحميراء» وبيّض له صاحب «مسند الفردوس» فلم يخرّج له إسناداً، وذكر الحافظ عماد الدين بن كثير أنّه سأل الحافظَين المزّي والذهبي عنه فلم يعرفاه(1). انتهى.

وقال السيوطي: لم أقف عليه(2).

وأمّا الحديث الآخر، فعلى تقدير ثبوته فإنّ قصارى ما فيه إثبات أنّها عالمة إلى حيث يؤخذ منها ثلثا الدِين، وهذا لا يدلّ على نفي العلم المماثل لعلمها عن بضعته عليه الصلاة والسلام، ولعلمه صلى الله عليه وآله وسلم أنّها لا تبقى بعده زمناً معتدّاً به يمكن أخذ الدِين منها فيه، لم يقل فيها ذلك، ولو علم لربّما قال: خذو كلّ دينكم عن الزهراء، وعدم هذا القول في حقّ من دلّ العقل والنقل على علمه لا يدلّ على مفضوليّته، وإلاّ لكانت عائشة أفضل من أبيها، لاَنّه لم يُرْوَ عنه إلاّ قليل لقلّة لبثه وكثرة غائلته بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

على أنّ قوله صلى الله عليه وآله وسلم : «إنّي تركت فيكم الثقلين، كتاب الله تعالى وعترتي، لا يفترقان حتّى يَرِدا علَيَّ الحوض» يقوم مقام ذلك الخبر وزيادة

---

(1) المقاصد الحسنة: 321 ح 432.
(2) مرقاة المفاتيح 5|616.

. كما لا يخفى . كيف لا؟! وفاطمة رضي الله تعالى عنها سيّدة تلك العترة.

انتهى كلام الآلوسي.

وقد ظهر لك بهذا وجه النظر فيما تقدّم من كلام ابن القيّم، حيث قال: إنْ أُريد بالتفضيل كثرة العلم فعائشة لا محالة؛ مضافاً إلى تعقّب الحافظ ابن حجر له . كما سلف . فتنبّه.

ثانيها: قوله صلى الله عليه وآله وسلم . في ما أخرجه الشيخان وأحمد، عن أنس وأبي موسى، عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، أنّه قال .: فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام.

تقريب الاستدلال: أنّ الثريد أفضل طعام العرب، وأنّه مركّب من الخبز واللحم، فهو جامع بين الغذاء واللذّة وسهولة التناول وغير ذلك، فضرب صلى الله عليه وآله وسلم لعائشة المثل به ليُعلم أنّها أُعطيت حسن الخلق والخلق والحديث وحلاوة المنطق وجودة القريحة ورزانة الرأي ورصانة العقل، إلى غير ذلك.

وفيه:

أوّلاً: أنّ هذا الحديث ظاهر الوضع، بيّن الاختلاق والحزازة، إذ لا يحسن نسبة هذا التشبيه الواهي إلى من أُوتي جوامع الكلم وكان أفصح من نطق بالضاد صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله.

وكيف لا يجزم بكذبه وبطلانه من عرف طريقة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في لطف كلامه وحسن بيانه وبديع تشبيهاته؟!

وأين هو من قوله صلى الله عليه وآله وسلم : «فاطمة سيّدة نساء العالمين»؟! . كما قال

العلاّمة ابن المظفّر رحمه الله في «دلائل الصدق»(1).

وثانياً: أنّه على تقدير تسليمه لا يستلزم ثبوت الأَفضلية المطلقة . كما صرّح به شيخ الإِسلام الحافظ ابن حجر في موضعين من «شرح البخاري(2).

وثالثاً: أنّ أفضليّتها . على تقدير تسليمها . مقيّدة بنساء النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم حتّى لا يدخل فيها مثل فاطمة عليها الصلاة والسلام، جمعاً بين هذا الحديث وحديث: «أفضل نساء أهل الجنّة خديجة وفاطمة» . كما أشار إليه ابن حبّان(3) . وقد قضينا الوَطَر فيما سلف من الكلام على ذلك.

وقال المناوي في شرح هذا الحديث في «فيض القدير»(4): (على النساء) أي على نساء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الّذين(5) في زمانها، ومن أطلق نساءَه ورد عليه خديجة، وهي رضي الله عنها أفضل من عائشة على الصواب، لتصريح المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم بأنّه لم يُرزق خيراً من خديجة، ولخبر ابن أبي شيبة: «فاطمة سيّدة نساء أهل الجنّة بعد مريم وآسية وخديجة» فإذا فضلت فاطمةَ فعائشة أَوْلى، ومن قَيّد بنساء زمنها ورد عليه فاطمة، وفي شأنها قال أبوها ما سمعت.

قال: وقد قال جمع من السلف والخلف لا نعدل ببضعة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم أحداً، قال البعض: وبه يُعلم أنّ بقيّة أولاده كفاطمة رضي الله عنها. انتهى.

---

(1) دلائل الصدق 2|368.
(2) فتح الباري 6|515 و 7|135.
(3) فتح الباري 7|135.
(4) فيض القدير 2|461.
(5) كذا، والصواب لغةً: اللاتي أو اللائي.

ثمّ رأيت أنّ ابن أبي الحديد المعتزلي قد ذكر في «شرح نهج البلاغة»(1)َ: أنّ أصحابه يحملون لفظة (النساء) في هذا الخبر على زوجاته صلى الله عليه وآله وسلم ، لاَنّ فاطمة عليها السلام عندهم أفضل منها . يعني عائشة . لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «إنّها سيّدة نساء العالمين».

ورابعاً: أنّ هذا الحديث معارَض بما يدلّ على أفضلية غير عائشة عليها، فقد أخرج ابن جرير، عن عمّار بن سعد، أنّه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «فضلت خديجة على نساء أُمّتي كما فضلت مريم على نساء العالمين» بل هذا الحديث أظهر في

الأَفضلية وأكمل في المدح عند من انجاب عن عين بصيرته عين التعصّب والتعسّف . كما قال الآلوسي(2)..

وقال أيضاً: أشكل ما في هذا الباب حديث الثريد، ولعلّ كثرة الأَخبار الناطقة بخلافه تهوّن تأويله، وتأويل واحد لِكثير أهون من تأويل كثيرٍ لواحد، والله تعالى هو الهادي إلى سواء السبيل.

ثالثها: أنّ عائشة يوم القيامة في الجنّة مع زوجها صلى الله عليه وآله وسلم (3) وفاطمة عليها السلام يومئذٍ مع زوجها أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه الصلاة والسلام، وفرق عظيم بين مقام النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ومقام ابن عمّه عليه السلام ، وهو قول أبي محمّد ابن حزم، وفساده ظاهر . كما قال ابن حجر(4) . وقال الشيخ تقي الدين السبكي: هو قول ساقط مردود.

وأنت تعلم أنّ هذا الدليل يستدعي أن تكون سائر زوجات

---

(1) شرح نهج البلاغة 14|23.
(2) روح المعاني 3|156.
(3) كما أخرج ابن سعد عن مسلم البطين مرسلاً: عائشة زوجتي في الجنّة؛ ورمز السيوطي في «الجامع الصغير» لضعفه.
(4) فتح الباري 7|173.

النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أفضل من الأَنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، لأَنّ مقامهم . بلا ريب . ليس كمقام صاحب المقام المحمود صلى الله عليه وآله وسلم ، فلو كانت الشركة في المنزل مستدعية للأَفضلية لزم ذلك قطعاً، ولا قائل به . كما أفاده الشهاب الآلوسي(1) ..

على أنّ ذلك معارَض بما أخرجه الإِمام أحمد(2) عن عبد الرحمن الأَزرق، عن عليٍ عليه السلام ، قال: دخل علَيَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنا نائم على المنامة، فاستسقى الحسن أو الحسين، قال: فقام النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى شاة لنا بكيء فحلبها فدرّت، فجاءه الحسن فنحّاه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، فقالت فاطمة: يا رسول الله، كأنّ أخاه

أحبّهما إليك، قال: لا، ولكنّه استسقى قبله، ثمّ قال: إنّي وإيّاكِ وهذين وهذا الراقد في مكان واحد يوم القيامة.

هذا، وإنّ من تصفّح أحوال عائشة وتتبّع سيرتها أذعن بأنّها لا ينبغي أن تكون طرف تفضيل، فضلاً عن الخوض في تفاضلها مع الحوراء الإنسيّة، التي جوهرتها من شجرة قدسيّة(3).

وهل يكون الفضل جزافاً؟! وقد خالفت أمر الله في كتابه بقرارها في بيتها، وخرجت على إمام زمانها الذي جعل صلى الله عليه وآله وسلم حربه حربه(4)،

---

(1) روح المعاني 3|156.
(2) مسند أحمد 1|101.
(3) راجع في ذلك: الدرّ المنثور 4|153، المستدرك على الصحيحين 3|156، ذخائر العقبى: 36 و 44، تاريخ بغداد 5|87، فضائل الخمسة من الصحاح الستّة 3|152 و 154.
(4) عن زيد بن أرقم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لعليٍ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام : أنا حرب لمن حاربهم، وسلم لمن سالمهم؛ رواه الترمذي. ورواه ابن ماجة في سننه بلفظ: أنا سلم لمن سالمتم، وحرب لمن حاربتم.

وجاهرت بعداوته وقد قال فيه النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : عادى الله من عادى عليّاً(1) واستمرّت على بغضه، وقد جعل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بغضه أمارة النفاق، حيث قال: «لا يحبّ عليّاً منافق، ولا يبغضه مؤمن»(2).

وكيف تكون أفضل النساء؟! وقد ضرب الله سبحانه مثلها ومثل صاحبتها في كتابه المجيد بقوله تعالى: (ضرب الله مثلاً للّذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين)(3).

فتدبّروا يا أُولي الألباب في أحاديث السُنّة وآيات الكتاب، واعرفوا الحقّ لأهله، كي تكونوا من أهله إن شاء الله.

(سبحان ربّك ربّ العزة عمّا يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله ربّ العالمين).

* * *

(1) أُسد الغابة 2|194، الإصابة 1|501، كنز العمّال 6|152، كنوز الحقائق ـ للمنّاوي ـ: 88، الجامع الصغير ـ للسيوطي ـ، وروى الحاكم في المستدرك 3|127 بسنده عن ابن عبّاس قال: نظر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى عليٍ عليه السلام فقال: يا عليّ، أنت سيّد في الدنيا وسيّد فيالآخرة، حبيبك حبيبي، وحبيبي حبيب الله، وعدوّك عدوّي، وعدوّي عدوّ الله، والويل لمن أبغضك بعدي. قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين.
وراجع: فضائل الخمسة من الصحاح الستّة 2|.223
(2) أخرجه الترمذي عن أُمّ سلمة رضي الله تعالى عنها 5|635 ح 3717، وأخرج مسلم في صحيحه 1|86 ح 131 عن عليٍ عليه السلام ، قال: والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة، إنّه لعهد النبيّ الاَُمّي إليَّ أن لا يحبّنيِ إلاّ مؤمن، ولا يبغضني إلاّ منافق.
وراجع في ذلك: فضائل الخمسة 2|230 ـ 234.
(3) دلائل الصدق 2|368 بتصرّف يسير.

المصادر

1 . إتحاف السائل بما لفاطمة من المناقب والفضائل، لزين الدين المُناوي . طبع مكتبة القرآن بالقاهرة . بتحقيق عبد اللطيف عاشور .

2. إحياء علوم الدين، لاَبي حامد الغزالي . ط.

3 . الاَذكار من كلام سيّد الاَبرار، لمحيي الدين النووي . عُني به محيي الدين الشامي . مؤسّسة التقويم الاِسلامي ودار البشائر الاِسلامية، الطبعة الثانية سنة 1406 هـ.

4. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، لشهاب الدين القسطلاني . طبع المطبعة الاَميريّة بمصر، سنة 1304 هـ.

5 . الاستيعاب في معرفة الاَصحاب، لابن عبد البرّ النمري القرطبي، المطبوع بهامش الاِصابة . الطبعة الاَُولى، سنة 1328 هـ.

6. أُسد الغابة في معرفة الصحابة، لعزّ الدين ابن الاَثير الجزري . طبعة دار الشعب، سنة 1393 هـ.

7. الاِصابة في تمييز الصحابة، للحافظ ابن حجر العسقلاني . الطبعة الاَُولى، سنة 1328

هـ.
8 . الإمامة والسياسة، لابن قتيبة الدينوري، طبعة البابي الحلبي، سنة 1388 هـ.
9. تاج العروس من جواهر القاموس، لمحبّ الدين محمّد مرتضى الزبيدي . طبعة مصر، سنة 1307 هـ.
10 . تاريخ الاُمم والملوك (تاريخ الطبري)، لأبي جعفر محمّد بن جرير الطبري . طبعة مصر.
11. تهذيب التهذيب، للحافظ ابن حجر العسقلاني . طبعة دار إحياء التراث العربي، سنة 1412 هـ.
12. جامع البيان (تفسير الطبري)، لأبي جعفر محمّد بن جرير الطبري .

طبعة المطبعة الكبرى ببولاق، سنة 1324 هـ.
13. الحاوي للفتاوي، لجلال الدين السيوطي . طبعة المنيريّة، سنة 1325 هـ.
14. حلية الأولياء، لأبي نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني . طبعة مطبعة السعادة بمصر، سنة 1351 هـ.
15. خصائص أمير المؤمنين صلى الله عليه وآله وسلم ، للحافظ النسائي . طبعة مطبعة التقدّم العلمية بمصر، سنة 1348 هـ.
16. الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور، للحافظ جلال الدين السيوطي . طبعة الميمنية، سنة 1314 هـ.
17. الدرّ النضيد من مجموعة الحفيد، للشيخ أحمد بن يحيى بن سعد الدين التفتازاني . الطبعة الاُولى، مطبعة التقدّم، سنة 1322 هـ.
18. دلائل الصدق، للعلاّمة الشيخ محمّد حسن المظفّر . أُفسيت مكتبة بصيرتي . قم.
19. ذخائر العقبى، لمحبّ الدين الطبري . طبعة مصر، سنة 1356 هـ.
20. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (تفسير الآلوسي)، لشهاب الدين محمود بن عبدالله الآلوسي البغدادي . طبعة دار إحياء التراث العربي . بيروت.
21. الروض الاُنُف في شرح السيرة النبويّة، لأبي القاسم السهيلي . ط.

22. سنن ابن ماجة، لمحمّد بن يزيد بن ماجة القزويني، تحقيق محمّد فؤاد عبد الباقي . طبعة دار الفكر . بيروت.
23. سنن أبي داود، لاَبي داود السجستاني . تحقيق محمّد محيي الدين عبد الحميد . دار إحياء السُنّة النبويّة . القاهرة.
24. سنن الترمذي (الجامع الصحيح)، لاَبي عيسى محمّد بن عيسى بن سورة الترمذي . تحقيق إبراهيم عطوة عوض . طبعة البابي الحلبي.
25. السيرة النبويّة والآثار المحمّدية، لاَحمد زيني دحلان . أُفسيت دار المعرفة . بيروت.

26. شرح صحيح مسلم، لمحيي الدين النووي . المطبوع بهامش إرشاد الساري . طبع المطبعة الاَميريّة بمصر.
27. شرح الفقه الاَكبر، لملاّ علي القاري الهروي . طبع إسطنبول، سنة 1303 هـ.
28. شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد المعتزلي . تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم . طبعة مصر، سنة 1385 هـ.
29. صحيح البخاري، لاَبي عبدالله محمّد بن إسماعيل البخاري.
30. صحيح مسلم، لاَبي الحسين مسلم بن الحجّاج النيسابوري.
31. ضوء المعالي . شرح بدء الاَمالي، لملاّ علي القاري الهروي . طبعة إسطنبول.
32. طبقات الصحابة، لابن سعد . طبعة ليدن، سنة 1322 هـ.
33. الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، لابن طاووس . طبعة مطبعة الخيّام بقم، سنة 1399 هـ.
34. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للحافظ ابن حجر العسقلاني . طبعة دار الريّان للتراث . مصر، سنة 1407 هـ.
35. فضائل الخمسة من الصحاح الستّة، للعلاّمة الفيروزآبادي . طبعة مؤسّسة الاَعلمي، بيروت، سنة 1402 هـ.
36. فيض القدير . شرح الجامع الصغير، لعبد الرؤوف المُنّاوي . طبعة مصر، سنة 1357 هـ.

37. الكامل في التأريخ، لابن الاَثير علي بن محمّد الشيباني، طبعة دار صادر، بيروت، سنة 1402 هـ.
38. الكشّاف عن حقائق التنزيل (تفسير الزمخشري)، لجار الله محمود ابن عمر الزمخشري . طبعة دار المعرفة . بيروت.
39. الكلمة الغرّاء في تفضيل الزهراء 3، للاِمام شرف الدين العاملي ؛ (مطبوع مع الفصول المهمّة) . طبعة دار النعمان، النجف الاَشرف.
40 . كنز العمّال في سنن الاَقوال والاَفعال، للمتّقي الهندي . طبعة

حيدر آباد، سنة 1312 هـ.
41 . كنوز الحقائق في أحاديث خير الخلائق، للمُناوي . طبعة المكتبة التجارية الكبرى بمصر، سنة 1356 هـ.
42. المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري . طبعة حيدر آباد، سنة 1344 هـ.
43. مسند أحمد بن حنبل، طبعة الميمنية، سنة 1313 هـ.
44. مشكل الآثار، لاَبي جعفر الطحاوي . طبعة حيدر آباد، سنة 1333 هـ.
45. مقاتل الطالبيّين، لاَبي الفرج الاَصبهاني . طبعة المطبعة الحيدرية بالنجف . الطبعة الثانية، سنة 1385 هـ.
46. المقاصد الحسنة في بيان كثير من الاَحاديث المشتهرة على الاَلسنة، للحافظ السخاوي . طبع دار الكتاب العربي . الطبعة الاَُولى . بيروت، سنة 1405 هـ.
47. النهاية في غريب الحديث والاَثر، لمجد الدين ابن الاَثير الجزري . طبعة سنة 1385 هـ.

* * *